مولده

سَكن الكون وأصغى ، وتعبَّأت كل القوى الأبدية لحشدها ، وعَبَّ التيَّار الإلهيُّ الذى يَمُوج به الكون ، وسمت الملائكة بالبشرى بين خوافق السماء والأرض ، وتهلَّلت أجيال النبوَّة بأفراح خاتمها الذى أتمَّ الله به نعمته على الناس ، وسَرَت في الكائنات أسرار الحياة الجديدة فاهتزَّت وربتْ واستشرفت إلى النور الخالد الذى ينبع من أفق الإنسانية العالى البعيد ، ووسوست رمال الصحراء بتسبيحة المجد لله ، تستقبل الأقدام التى تطؤها بالنور الذى سيمشى أوَّلَ ما يمشى على حَصْبائها ، ثم يمشى بأصحابه فى أرجاء الأرض يحييها بعد موت ، ويطهرها بعد دَنَس

سكن الكون وأصغى ، وسكنت نأمةُ الشياطين فى مخارمها ومهاويها وآفاقها ، وخشعت وساوس إبليس بالرُّعب والفزع ، وثبتت فى مسارِبها جائلاتُ الجِبْتِ والطاغوت ، وتحيَّرت فى مستقرِّها أباطيلُ الأوثان وأوهام الالوهة المزيفة على الناس

ثم اهتز الكون كله بالفرح ، فتداعت أبنية الأجيال الوثنية الباطلة ، ثم أخذت تتداعى تحت الأشعة النبوية التى نشرت على الدنيا نورها بالحق والعدل والتوحيد والسلام ...

سكن الكون وأصغى ، ثم اهتز بنوره وتطهر ، صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ، سلاماً من كل قلب ، وفى كل زمن ، والحمد لله الذى أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون

أعيادنا

أعياد الأمم هى الأيام التى تستعلن فيها خصائص الشعوب وذخائرها وخلائقها الأدبية والعقلية والنفسية والسياسية . هى الأيام المبتهجة التى تنبض بالحياة وأسبابها فى الأمة ، لتدل على السر الحيوى السارى فى أعصاب الحياة العملية اليومية المتتابعة على نظام من الجد لا يكاد يختلف

واحتفال الشعب بأعياده أمر ضرورى لإعطائه المثل الأعلى وإمداده بالروح التى تدفعه إلى مجده ، أو إلى المحافظة عليه . فهو من ناحيتيه يظهر ما فى الشعب من خصائصه ومحامده وعيوبه ؛ ويبقى على المثل الأعلى بالتجديد والبهجة والزينة

فأعياد الأجانب الأوربيين مثلاً تكشف عن قوتهم واعتدادهم بأنفسهم ، وتعشقهم لجمال الحياة الدنيا إدماناً وإغراقاً ، وعن جعلهم المجاملة أصلاً أخلاقياً فى أنفسهم وأهليهم ، وعن غرورهم واستهتارهم واستهانتهم بأكثر الفضائل الإنسانية حين تجرى فى دمائهم عربدة الطغيان الإنسانى المتوحش الذى يرتد إلى الغرائز الحيوانية المستأثرة باللذة ، المجردة من الورع والتقوى

وأعيادنا تحن تهتك الحجاب عن ضعفنا وذلتنا ، واستكانتنا لما نشعر به من الضعف والذلة ، وتبين عن ذهول الشعب عن نفسه وعن تاريخه ، وعن مجده ، وتعلقه بتُرَّهات الحياة ، وقلة مبالاته بجهالها ، وانصرافه عن معرفة الأحزان الخالدة فى طبقاته بخلود الفقر والجهل والبلادة

فهل يزدلف إلينا ذلك اليوم الذى تتمثل فيه أعياد الشعب الإسلامى صورةَ السيطرة والسيادة والقوة ، وتتبدَّى عليه أفراح الحياة الراضية المؤمنة المطمئنة ، وتعود إليه الأخوة الإسلامية التى ساوت بين الناس غنيهم وفقيرهم وعالمهم وجاهلهم ، وجعلتهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالخلق والتقوى ؟ هل يأتى ذلك اليوم السعيد الذى يجعل أعيادنا صورة من مدنية دين الله التى تبدأ بالرحمة والحنان والتعاطف ، وتنتهى بالعمل والجد والصبر والتعاون ؟ يومئذ تكون السيادة العليا للمدنية المستقبلة ، مدنية الحرية التى لا تشتهى أن تفجر ، والعلم الذى لا ينبنى أن يكفر

التعليم

فاز الأسبوع الماضى فى مجلس النواب بإثارة انتباه الناس إلى شأن التعليم وسياسته التى درجت عليها وزارة المعارف من سنين تطاولت ، وقد قدمت اللجنة المالية تقريرها عن ميزانية المعارف ، وتناولت فى هذا التقرير سياسة التعليم وأغراضه ، وعيوبه وما ترجو به له الإصلاح ، وناقش المجلس بعض هذه الآراء ، وعرض حضرات النواب بعض آرائهم وملاحظاتهم .

ونحن — على أننا لم نحضر هذه الجلسة بل قرأنا ما اختصر مما جرى فيها — نظن أن حديث النواب كان يدل دلالة قاطعة على أن وزارة المعارف التي انقضى على قيامها بهذه المهمة ما يربو على قرن من الدهر لم تقرر فيها أصولٌ صحيحةٌ للتعليم ، ولم تجر سياستها على منهج يستمر بها إلى غاية تريدها على تدبير وحياطة

أفلا ترى أن الوزارة لا تزال تسمع من الناس ومن النواب ومن أصحاب الرأى ما يجب عليها للتعليم الديني في مدارسها ، وما ينبغي في مناهج تعليم البنات ، وما تتطلَّبه أنظمة التعليم الإلزامي ، وهل أدى الغرض منه إلى اليوم أو لم يؤده ؟ وما تفرضه الوطنية من النظر الصادق في ترقية التعليم الحر حتى يصل إلى الدرجة التي تليق به وبالأمة التي يتولى هو بعض الرعاية على بعض أبنائها ، وغير ذلك من الشؤون الابتدائية في سياسة التعليم

فهذا عجيب أن تبقى وزارة المعارف إلى هذا اليوم ، ولم تتقرر لها سياسة كاملة عامة تتناول حياة الأمة العلمية والأدبية والخلقية والبدنية بأدق النظر وأحسن الرأى ، فلا ينبغُ لها نابغ يسددها إلى هذه الآراء الأولية التي يفرض كل أحد أن الوزارة قد انتهت من إقرارها والسير عليها والتدبير لها بكل الوسائل التي تكفل للشعب تربية أبنائه تربية تامة كاملة مهيَّأة لتحمُّل الأعباء الثقلة التي سيحملها جيلهم من بعد هذا الجيل

وقد سارت وزارة المعارف في السنين الأخيرة على سنة لا يمكن إلا أن تفضي إلى توهين الروابط الثقافية التي تربط الشعب كله بعضه إلى بعض ؛ وذلك كثرة تبديل المناهج وتغييرها عاماً بعد عام لغير ضرورة ملجئة في أكثر هذا التبديل والتغيير . ولا بد أن تحزم وزارة المعارف أمرها على خطة واسعة متراحبة ترى إلى أبعد مدى على أتم حذر ، ليتسنى لها أن تمحو كل أخطاء الماضي التي لعبت فيها الأيدي الاستعمارية والسياسية بكل ما من شأنه أن يسلب الشعب قدرته على التحفز والتوثب والتجمع ، وما ينشئه على الحرية العقلية والنفسية ، التي ترفعه إلى الدرجات السامية التي يجب أن يرقى إليها كل شعب يريد أن يتحرر ويسود ويفرض مدنيته على الأرض التي يعيش عليها

وإذا أرادت وزارة المعارف ذلك الآن ، فإن في همة وزيرها الذي لا يَمَل ولا يتأخر عن دواعي الوطن ، إنفاذاً لهذه الإرادة . فوزير المعارف رجل معروف بالجد والإخلاص والثابرة وقوة العزيمة ، فلو اجتمع له كل أصحاب الرأى ممن يحب أن يساهم في شأن التعليم مساهمة الدرس والكفاح للمستقبل ، لأمكنهم أن ينقذوا وزارة المعارف من البلبلة التي لا زالت تتساقط بها من ذلك العهد القديم المعروف بأغراضه في تحطيم قوى الشعب تحطيما استعباديًّا مستبدًّا . فنرجو أن يضمَّ وزير المعارف إلى رأيه جماعة من أصحاب التدبير السياسي للتعليم غير مقيَّد بشيء من الرسوم القديمة — وهو الرجل الحر — فإن القيود هي التي جعلتنا إلى هذا اليوم نسري في ظلام دامس من الأهواء التي غلبت على شأن التعليم فيما مضى

تعليم العربية

وبهذه المناسبة أذكرُ أني قرأتُ في الأسبوع الماضي أيضاً كلمة عن أسباب ضعف الناشئة في اللغة العربية ، وأن الكاتب ردَّ هذا إلى أسباب من المعلم والكتب وغير ذلك ، وزعمَ أن أكثر كتُبنا لا يصلح لتعليم الناشئة لسانَ أمتهم . وإن يكن في هذا بعضُ الحقِّ فليس هو كلُّ الحقِّ ، فإن أسبابَ ضعفِ الناشئ في العربية ليس يُردُّ إلى المعلم والكتاب ، بل مَرَدُّه إلى المنهج الذي يُقيِّد المعلم بقيود كثيرة ترفع عنه التبعة في نتيجة التعليم ، ويقيد الكتاب بمثلها ، ويُعطي الناشئ ما لا يَصْلُح عليه لسانٌ ولا يستقيم به تعليم لغة

فلو أنت نظرت لما رأيت شعباً من شعوب الأرض المتعلمة ، يفعَلُ بلغته ما نفعل نحنُ ، من التجاهل للآثار الأدبية وقلة الاحتفال بتزويد الناشئ بمادتها التي تحفظها لتكون أبداً على مدِّ الذاكرة وفي طلب اللسان . ولو أنت سألتَ أي مُتعلِّم من أهل الأمم الأخرى أن يُسمِعك من روائع شعر أمته ونثرها وحديث بلغائها لاحتفَلَ لك بالكثير الذي تظنُّ معَه أنه إنما أعدَّ لك الجواب لعلمِه أنك قد أعددتَ له السؤال . فلو أنتَ جئت بعدَ ذلك إلى أحد المثقَّفين المكثرين المتنفِّخين من المتعلمين عندنا وسألته مثل ذلك لَنحا إليك بَصرَه فآثارَ النَّظَر فابتسمَ فضَحكَ فاستهزأ بك فولاَّك ظهره فمضى يعجب من غفلتك وحماقتك وقلة عقلك

وإن بعضهم ليقول : ليس لنا ما لهم ، أين للطالب المصري أو العربي ما يغريه بالقراءة كما يغري شكسبير وملتون وبيرون وشيللي وفلانٌ وفلانٌ من الشعراء والكتاب ؟ بلى أين ! وإن يكن هذا كله حقاً فافترضناه كذلك، فليس يكون لنا مثل شكسبير

وأصحابه إلا باستيعاب قديم كتابنا وشعرائنا ، والحرص على آثار محدثيهم ، فإذا كان ذلك أخرج الشعب يوماً أمثالَ هؤلاء لمن يلينا من أهل أمتنا . وإلا فإننا سائرون إلى ضعف أبداً ما دُمنا نرى أن الطالب لا يطيق أن يستوعب من شعر البحترى إلا قصيدة واحدة ومن المتنبي مثلها ، ثم يكون ذلك آخر عهده وأوله بدراسة الآثار الأدبية العربية

إن الحفظ الأول للآثار الأدبية الرائعة قديمها وحديثها هو الذى يخرج الأديب والكاتب والشاعر . أنظر إلى المنفلوطى والرافعى وشوقى وحافظ والبارودى والزيات وطه حسين ، كل هؤلاء لم يكونوا كذلك إلا لأنهم نشأوا وقد حفظوا القرآن أطفالاً فحملهم ذلك على متابعة حفظ الآثار الأدبية الجليلة ، ثم حفز هذا المحفوظ ما انطووا عليه من الطبيعة الأدبية التى استقرّت في أنفسهم وأعصابهم ، فلما استحكموا استحكمت لهم طريقتهم فى الأدب والشعر والإنشاء ، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يكونوا اليوم إلا كما نرى من سائر من تخرجهم دور التعليم بالآلاف فى كل عام ينقضى من أعوام الدراسة

مشروع

كتب الأخ الأستاذ « محمد خلف الله » كلمة جليلة الغرض تحت هذا العنوان « مشروع » فى مجلة الثقافة العدد (٦٨) الماضى ، وخلاصة هذا المشروع : أن تؤلف جماعة من الباحثين يمثلون اللغة والأدب وعلم النفس والاجتماع يكون من أغراضها أن تدرس النواحى المختلفة للاجتماع المصرى الحاضر وما يكون فيه من الظواهر المختلفة التى يخشى أن تدرج وتبيد ولم نستفد من الحرص عليها إن كانت نافعة ، أو الاستعانة بها فى درء الأمراض الاجتماعية عن الشعب فيما يستقبل إن كانت من السوء بحيث تكون كذلك

وقد عدّ الأستاذ خلف الله بعض الأمثلة فيما يجب أن تتوجه إلى دراسته هذه الجماعة كخارج الحروف وأصواتها فى كل الأقاليم المصرية ، ورد ذلك إلى أصوله الأولى التى انحدر عنها من تاريخ القبائل ، وكذلك اللهجات الكثيرة فى الوجه البحرى والقبلى مما هو — ولا شك — نتيجة لإقامة بعض العرب فى هذه الجهات ، ثم دراسة الأدب الشعبي من قصيد وموال ومثل وفكاهة وسمر ، ودراسة الخلق المصرى ، وعيوبه وفضائله ، وما يتعاوره من الغلو والضعف . ويكون ذلك كله إعداداً لمعرفة حقيقة هذا الشعب معرفة صحيحة ، ثم نشر كل ذلك على التتابع فى رسائل قد استوفت شروط المنهج العلمى للدراسة الاجتماعية واللسانية والفنية

وكلما يرحب بهذا المشروع الذى نستطيع معه أن نخدم الشعب خدمة عظيمة باستظهار ما يستتر من قوته ، وما يستعلن من ضعفه ، فيكون ذلك أحرى بأن يهدينا إلى إصابة الدواء الذى يحسم مادة الداء التى تلتهم أسباب رقيه سبباً بعد سبب . وهذه الدراسات المفصلة للشعوب على طبيعتها التى تتعامل بها فى السوق والحقل والمصنع والمدرسة والبيت ، وهى النجاة لنا من شر كبير قد أوقعنا فيه الاضطراب وقلة الخبرة . ولو علمت أن أكثر الأمم المستعمرة تلجأ إلى هذا الطريق نفسه فى دراسة الشعب الذى تريد أن تستبد به ، ليتسنى لها أن تعمل على إضعافه وقتله بتقوية ضعفه وإضعاف قوته دون أن يشعر أو يتألم بل يحسب أنه يسير إلى غايته على تدريج طبيعى — لو علمت ذلك علمت ما نستطيع أن نستفيده من نتائج هذا المشروع الجيد إذا أُحكم تنفيذه ، ولم تَغْلِبْ على اختيار رجاله محاباة ، ولم تتحكم فى هؤلاء الرجال شهوةٌ أو هوًى

محمود محمد شاكر

M. Arab. 139

ترانكانو

إن الأسواق الكبرى فى الأقاليم الحارة هى حقا أماكن اجتماع غريبة إن كان بالنظر إلى النباتات التى يشاهدها الانسان هناك أو بالنظر إلى الناس أنفسهم فهؤلاء يأتون عادة من الجهات المجاورة بعكس النباتات التى مصدرها المنطقة الحارة جميعها فيوجد الجوز الهندى من الفلبين وأرز الهند وشكلاتو أمريكا وتمر البابايا من جهة الأمازون والكوافا من الكوتامالك والمنغوست من مليزيا .

إن رسما جديدا ممثلا سوق ترانكانو عاصمة مقاطعة صغيرة من دول الاتحاد الملیزى يظهر جمعا من سكان البلاد يهرولون بجلبة مخفين من الحر فى ثيابهم الطويلة البيضاء .

فمعظمهم من زراعى الأرز أو صيادى السمك وجميعهم يعيشون فى ناحية من أكثر النواحى التى انتشر فيها وباء الملاريا فى العالم كله وشغلهم خطر ولكن الخطر لا يأتى من النمور والأفاعى على قدر مايأتى من حيوان أصغر من ذلك وأشد منها وبالا وهو بعوض أي الملاريا .

فاللجنة الصحية لجمعية الأمم قد أظهرت ما هي البلية الهائلة بلية الملاريا فى مدينة كمدينة ترانكانوا فاللجنة التى تهتم بالملاريا تقول بوجوب إعطاء جميع أهل البلاد مقدار أربعين سنتجرام من الكينا يوميا على سبيل الوقاية وهذا شيء تحقيقه غير ممكن فاللجنة وهي خبيرة بكل ذلك تلح بأن يأخذ جميع السكان المصابين بالملاريا جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام والحاجة القصوى لأن ما يقارب نصف مجموع الداخلين إلى المستشفيات فى مدينة ترانكانو مصابون بالملاريا .